

شرح منظومة

وصف العالم الابي والاعتزاز بالعلم وسمو الهمة

للامام الجرجاني رحمه الله تعالى

شرح الشيخ الفاضل:

أبي اليمان عدنان بن حسين المصقري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَرَّمَةُ السَّارِحِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

كثيراً

أما بعد :

هذه الأبيات الطيبة المباركة للإمام الجرجاني أبي الحسن علي بن عبد العزيز رحمه الله في "وصف العالم الأبي والاعتزاز بالعلم وسمو المهمة".

فهي أبيات طيبة، يحرص طلبة العلم والعلماء على حفظها وفهمها، وما أخرج كل طالب علم وداعية إلى الله تعالى أن يفهمها ويحفظها وأن يعمل بمقتضاها، إذ أنها توافق الأدلة وتدل على عزة المسلم ومن الأدلة على ذلك.

قال التاج السبكي رحمه الله تعالى، بعد أن أورد هذه القصيدة الفائقة العصماء في ترجمة الجرجاني: "لله هذا الشعر ما أبلغه وأصنعه! وما أعلى على هام الجوزاء موضعه! وما أنفعه لو سمعه من سمعه! وهكذا فيكن - وإلا فلا - أدب كل فقيه، ومثل هذا الناظم يحسن النظم الذي لا نظير له ولا شبيهه، وعن هذا ينطق المنصف بعظيم الثناء على ذهنه الخالص لا بالتمويه".



فيا ليت كل عالم وطالب علم ينقش هذه الآيات في صدر مجلسه، وعلى صفحة قلبه، ويجعلها دستوراً في حياته، وإمامه في خلائقه!

ورحم الله الإمام الجرجاني، ونفعنا الله بنظمه ونشره، وعلمه وأدبه... آمين.
أقول وبالله أستعين:

الجرجاني هو العلامة القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، الفقيه الشافعي الأديب الشاعر المحسن، قاضي قضاة الري، والمولود في حجود سنة ٣٢٥، والمتوفى سنة ٣٩٢ رحمه الله.

قال فيه الثعالبي واصفا كثرة تطوافه وتقلبه في البلدان لتحصيل العلم:
"وكان في صباه خَلَفَ الخَضِرَ (يعني خليفة الخضر) في قطع الأرض وتدوين بلاد العراق والشام وغيرهما، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علماً، وفي الكمال عالماً، فهو حسنة جرجان، وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودُرَّةُ تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة، إلى نشر الجاحظ، ونظم البحري وينظم عقد الإتقان والإحسان في كل ما يتعاطاه".

وقد استعمل أبو الحسن الجرجاني كل ما أوتيته من فضل وعلم وأدب وحسن نظم مع ما أوتيته من مروءة طالب العلم وتعففه لينظم هذه القصيدة التي يصف فيها ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم من الاعتزاز بالعلم، وسمو المهمة، والترفع عن الدنيا والصغائر، وكل ما يشين من الأفعال والأعمال والخلائق؛ ليسمو به علمه إلى أعلى المقامات، وينبل قدره، وينتفع الناس به في الحياة وبعد الممات.



حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " إن أناسا من الأنصار، سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده. فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء هو خير وأوسع من الصبر» متفق عليه.

وكذلك حديث عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب رضي الله عنهما أن حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ، فأعطاني، ثم سألته، فأعطاني، ثم سألته، فأعطاني ثم قال: «يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى».

قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رضي الله عنه، يدعو حكيمًا إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئا، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم، أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي) متفق عليه واللفظ للبخاري.

وجاء عن ثوبان رضي الله عنه - وكان ثوبان مولى رسول الله ﷺ - قال: قال رسول الله

(من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له بالجنة " فقال ثوبان: أنا فكان لا يسأل أحدا شيئاً. رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الوادعي رحمه الله تعالى في الصحيح المسند والألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود. والاحاديث كثيرة في ذم السؤال والأمر بالعفة والعزة ، ولذا قال أبو سفيان لهرقل لما سأله قال: ماذا يأمركم؟ قال : يقول: (اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة).

أي يأمرنا بالعفة فالعفاف منسوب لهذا الدين. وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يبايعون النبي ﷺ "ألا يسألوا الناس شيئاً" كما في حديث عوف، رواه مسلم.

وفي حديث قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه ، قال: (تحملت حمالة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها، فقال: أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها، قال: ثم قال:

" يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل، تحمل حمالة، فحلت له المسألة حتى يصيبها، ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال سداداً من عيش - ورجل أصابته فاقة



حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة، فحلت له المسألة
حتى يصيب قواما من عيش
- أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها
صاحبها سحتا" رواه مسلم.
فهذه الآيات نعلق عليها بما يسر الله تعالى.

المنظومة

- ١- يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا
- ٢- أَرَى النَّاسَ مِنْ دَانَاهُمْ هَآنَ عِنْدَهُمْ
- ٣- وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا
- ٤- وَمَا زِلْتُ مُنْحَازًا بِعَرْضِي جَانِبًا
- ٥- إِذَا قِيلَ: هَذَا مِنْهُلٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى
- ٦- أَتَزْهَمُ عَنْ بَعْضِ مَا لَا يَشِينُهَا
- ٧- فَأَصْبَحُ عَنْ عَيْبِ اللَّئِيمِ مُسَلِّمًا
- ٨- وَإِنِّي إِذَا مَا فَاتَنِي الْأَمْرُ لَمْ أَبْتَ
- ٩- وَلَكِنَّهُ إِنْ جَاءَ عَفْوًا قَبْلَتَهُ
- ١٠- وَأَقْبَضُ خَطَوِي عَنْ حَظْوِظٍ كَثِيرَةٍ
- ١١- وَأُكْرِمُ نَفْسِي أَنْ أَضَاحِكَ عَابِسًا
- ١٢- وَكَمْ طَالِبٍ رَقِيَّ بِنُعْمَاهُ لَمْ يَصِلْ
- رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الذِّلِّ أَجْمًا
- وَمَنْ أَكْرَمَتُهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
- بَدَا طَمَعٌ صَيَّرَتْهُ لِي سُلَمًا
- عَنِ الذِّلِّ أَعْتَدْتُ الصِّيَانَةَ مَغْنَمًا
- وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظُّلْمَ
- مُخَافَةَ أَقْوَالِ الْعِدَا فِيمَ أَوْلَمَا؟
- وَقَدْ رَحْتُ فِي نَفْسِ الْكَرِيمِ مُعْظَمًا
- أَقْلَبُ كَفِيَّ إِثْرِهِ مُتَنَدِمًا
- وَإِنْ مَالٌ لَمْ أَتَّبِعْهُ هَلَّا وَلَيْتَمَا
- إِذَا لَمْ أَنْلِهَا وَافَرَ الْعِرْضَ مُكْرَمًا
- وَأَنْ أَتَلَقَّى بِالْمُتَدَحِّجِ مُذَمَّمًا
- إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الرَّئِيسَ الْمُعْظَمًا

- ١٣- وكم نعمة كانت على الحر نعمة
وكم مغم يعتده الحر مغمًا
- ١٤- ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
لأخدم من لاقيت لكن لأخدمًا
- ١٥- أشقى به غرسًا وأجنيه ذلة
إذا فاتباع الجهل قد كان أحرما
- ١٦- وإني لراضٍ عن فتى متعففٍ
يروح ويغدو ليس يملك درهمًا
- ١٧- يبيت يراعي النجم من سوء حاله
ويصبح طلقًا ضاحكًا متبسمًا
- ١٨- ولا يسأل المثرن ما بأكفهم
ولو مات جوعًا عفة وتكرما
- ١٩- فإن قلت: "زند العلم كاب"، فإيما
كباحين لم نحرس جهاه وأظلمًا
- ٢٠- ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
- ٢١- ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا
محياه بالأطماع حتى تجهما
- ٢٢- وما كل برق لاح لي يستفزني
ولا كل من لاقيت أرضاه منعمًا
- ٢٣- ولكن إذا ما اضطرني الضر لم أبت
أقلب فكري منجدًا ثم متهمًا
- ٢٤- إلى أن أرى ما لا أغص بذكره
إذا قلت قد أسدى إلي وأنعمًا

يقول الجرجاني رحمته الله :

يقولون لي فيك إنقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كنت كلما بدا طمع صيرته لي سلما

يقولون لي - أي يقول الناس عني - : فيك انقباض

أي: أنك لا تسألنا ولا تأتي إلى بيوتنا ولا تخالطنا، وإنما الحقيقة أنهم رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما.

أي: لا يريد موقف الذل أحجما أي: امتنع عن موقف الذل أي: أرى الناس في حقيقتهم، من دانا هم ومن سألهم ومن تدنى لهم، هان عندهم وصار عندهم هينا، ومن أكرمته عزة النفس أكرما أي: من كان عزيز النفس أكرمه الناس، وعزة النفس ليس معناها الكبر ولا التجبر، وإنما معناها البعد عن ما يشين الإنسان، وعن ما يضره، ومن أكرمته عزة النفس أي: أكرمته عزة النفس عن سؤال الناس، أكرما مع أن المؤمن متواضع إذا دعي أجاب

كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدني إلي ذراع لقبلت». رواه البخاري.

وقوله رحمته الله: ولم أقض حق العلم إن كنت كلما....

أي: لم أوفي حق العلم، وأقضي حقه، إن كنت كلما بدا طمع، إن بدا لي طمع، وبدا لي باب من أبواب الدنيا.

قوله **رحمته**: صيرته لي سلماً أي: أتسلق عليه أو به إلى مطمعي.

قال **رحمته**:

ومازلت منحازاً بعرضي جانباً عن الذل أعتد الصيانة مغنياً

قوله **رحمته**: ومازلت منحازاً بعرضي جانباً.....

أي: مبتعداً بعرضي، والعرض هو موضع القدر والذم في الإنسان.

قال **رحمته**: جانباً، أي: مجاناً للذل عن الذل، أعتد الصيانة مغنياً، أي: أعد الصيانة،

أي: صيانة العلم مغنياً عظيماً ونعمة عظيمة ومكسباً عظيماً.

وصيانة العلم، تكون بـ أمور منها:

- بعد طالب العلم والعالم، عن مواقف الذل، ومواقف الشين، ومواقف القدر،

وعن

الاختلاط بالحرام، والقرب من الشبهات، وعن الأفعال التي لا تليق.

- ومن صيانة العلم ألا يذهب الإنسان ويسأل.

- ومن صيانة العلم ألا يستخدم الإنسان الناس.

- ومن صيانة العلم ألا يمازح الإنسان الناس كثيراً، كثرة المزاح ليست من صيانة

العلم

وَألا يلعب معهم الألعاب الذميمة

- ومن صيانة العلم، ألا يدخل في شؤون الناس

- ومن صيانة العلم، ألا يتوصل بعلمه إلى دنيا

- ومن صيانة العلم، ألا يسأل الناس، أن يخفضوا له الأسعار من أجل علمه،

يقول: " أنا عالم وأنا شيخ، وأنا إمام مسجد، فأنزل لي هذه القيمة " وهذا كله من

صيانة العلم

قال رحمته الله:

إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحمل الظما

أنزهها عن بعض ما لا يشينها مخافة أقوال العدا فيم أو لما

أي: إذا قيل هذا باب من أبواب الدنيا، وهذا مشرب، وهذا مأكّل، والمنهل في

اللغة هو: المشرب منهل الإبل: ما تشرب منه

قلت: قد أرى أي: أنا أرى أنه منهل، وأن الناس يشربون منه، ولكن نفس الحر

تتحمل الظما أي: تتحمل أن تجلس جائعة ظمئة، بعيدة عن الماء، لأنني لا أنزل نفسي

منزلة العبيد وأجعل نفسي حرة ولكن نفس الحر تحمل الظماً

وقوله رحمته الله: أنزهها عن بعض ما لا يشينها....

أي: أنزه نفسي عن بعض ما لا يشينها، أي: أنزهها عن بعض الأعمال، التي هي في

الحقيقة ليست حراماً، بل هي جائزة.

قال **رحمته الله**:

مخافة أقوال العدا: فيم أو لما أي: أخاف من أقوال أعدائي: فيم عمل هذا، ولما عمل هذا العمل، لأن الأعداء قد يتكلمون عليك وأنت تعمل شيئاً مباحاً: فيم أو لما

قال **رحمته الله**:

فأصبح عن عيب اللئيم مسلماً وقد رحت في نفس الكريم معظماً
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت أقلب كفي اثره متندماً

أي: أصبح مع عزتي وصيانتني لعلمي، عن عيب اللئيم مسلماً، أي: أسلم لا يعينني، وقد رحت في نفس الكريم معظماً، أي: وقد رحت في نفس الكرماء عظيم، لأنني أبتعد عن ما لا يليق بي، وهذا لا يعني أنك تعمل الأعمال، من أجل الناس أن يمدحوك، ولا يذموك، ولكن هذا باب من أبواب صيانة العلم، والتتزه عن ما يضر عند الله، وعند الناس

ففي حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي **رحمته الله**: أنه، مر وصاحب له، بأيمن وفتية من قريش قد حلوا أزرهم، فجعلوها مخاريق يجتلدون بها، وهم عراة، قال عبد الله: - فلما مررنا بهم - قالوا: إن هؤلاء قسيسون فدعوهم، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم، فلما أبصروه تبددوا، فرجع رسول الله **ﷺ** مغضباً، حتى دخل، وكنت أنا وراء الحجرة، فسمعتة يقول: «سبحان الله، لا من الله استحيوا، ولا من رسوله استتروا» وأم أيمن عنده تقول: استغفر لهم يا رسول

الله قال عبد الله: «فبلائي ما استغفر لهم»، قال عبد الله: وسمعتة أنا من هارون).
رواه أحمد وصححه العلامة الوادعي والألباني في الصحيحة.
أي أنهم لم يستحوا من الله تعالى ولا من خلقه.

تنبيه:

هذا ولتعلم أن الناس، لن يتركوك، لابد أن يعيبوك، ويتكلموا فيك، إذا كنت على الحق، فالذي يريد أن الناس لا يتكلموا فيه أبداً، ولا يطعنوا فيه هذا ليس بصحيح لابد إذا كنت على الحق أن يتكلم الناس فيك وأن يطعنوا فيك وأن يبحثوا حتى عن الكذب

فرسول الله ﷺ

قالوا فيه: ساحر، وهو ليس بساحر، وكاهن وهو ليس بكاهن، وشاعر وليس بشاعر،

قالوا فيه: مذمم وهو محمد ﷺ، قالوا فيه أشياء وليست بصحيحة.

وقال ﷺ: وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت

أي: وإني إذا ما فاتني أمر من أمور الدنيا، مأكلاً أو مشرباً أو مطعم، لم أبت أقلب كفي، أي: أندم أثره متندماً، وتقليب الكف يقلب كفه على ما أنفق فيها وهي خاوية

عبارة عن الندم كما في قوله تعالى ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢]

وفي القرآن لا تقول: عبارة، تقول: حقيقة لكن في اللغة هو تعبير عن التندم لأنه غالبا المتندم يقلب كف
قال رحمته الله:

ولكنه إن جاء عفوا قبلته وإن مال لم أتبعه هلا وليتها
وأقبض خطوي عن حضوظ كثيرة إذا لم أنلها وافر العرض مكرما

أي: إن جاء أي شيء، من حطام الدنيا، عفوا، ومعنى عفوا: أي بدون تكلف ولا سؤال، ولا ذهاب وراءه، قبلته وهذا عملا بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفقر إليه مني، فقال رسول الله ﷺ:

« فما جاءك من هذا المال، وأنت غير مشرف، ولا سائل فخذ، فتموله، وتصدق

به، ومالا فلا تتبعه نفسك » متفق عليه.

أي إذا لم يأتك، فلا تتبعه نفسك، وإن مال لم أتبعه هلا وليتها.
ومعنى "مال" أي: ذهب الطمع وذهب المال عني، لم اتبعه بقولي: هلا وليتها أي:
هلا عملت كذا، وليت أني عملت كذا حتى أناله أي هذا المال

قوله رحمته الله: وأقبض خطوي عن حضوظ كثيرة.....

أي: أمسك خطاي، لا أمشي عن حضوظ كثيرة، أي: عن حضوظ عن حظ كثير وأنا أعلم أني لو أمشي، سأكسب وسأنال إذا لم أنلها، وافر العرض مكرما، كل ذلك من أجل عرضي أن أكون كريما إذا لم أنلها، وافر العرض مكرما أي: جاءت المكرمة

ونلتها، وأنا وافر العرض مكرما، فحيا هلا بها وهذا يدل على أن الإنسان له نفس، وهو يحتاج إلى المال ولا سيما طالب العلم، والعالم يحتاج إلى المال، ويحتاج إلى ما يتقوى به على طاعة الله تعالى، لكن لا يمكن أن يبين نفسه، من أجل أن يسأل أو يتدنى.

قال **رحمته الله**:

وأكرم نفسي أن أضاحك عابسا وأن أتلقى بالمديح مذمما
وكم طالب رقي بنعماء لم يصل إليه وإن كان الرئيس المعظما

أي أكرم نفسي أن أضاحك عابسا، أي أن أضحك مع واحد ما يريد أن يضحك معي، وأتكلم مع واحد ما يريد أن يتكلم معي، وهكذا أنت من رأيت متكبرا عليك فأعرض عنه، وهذا باب من أبواب صيانة العلم أيضا، كرامة النفس، عن مضاحكة المتكبرين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

أَهْتَدَى﴾ [النجم: ٣٠]

وليس معنى هذا أنك تترك الدعوى إلى الله تعالى، فأنت تدعوا الناس جميعا، وإن أعرضوا.

وقوله: وأن أتلقى بالمديح مذمما.

أي: وأن أمدح من هو مذموم أنا لا أمدح أحدا وهو مذموم أو أحدا لا يستحق المدح.

قوله **رحمته**: وكم طالب رقي بنعماء لم يصل.....

أي: وكم طالب كم من إنسان طلب رقي، وطلب أن أكون رقيقا عبدا له، طلب أن أكون سائلا له، عبدا له لم يصل إليه أي لم يصل إلى هذا المطلب وهو رقي، يريد أن يجعلني رقيقا وأنا حر، وإن كان الرئيس المعظما أي: وإن كان رئيس معظم، لا يمكن أن يصل إلى رقي، وأن يستعبدني.

قال **رحمته**:

وكم نعمة كانت على الحر نقمة وكم مغنم يعتده الحر مغرما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لا قيت لكن لأخدما

أي: فكم من نعمة في الحقيقة هي نقمة على صاحبها، فأنا لا أبحث عن النعمة بسبب ذل نفسي.

فقوله **رحمته**: وكم مغنم يعتده الحر مغرما.....

أي: وكم من مغنم تغنمه، والحر يعد هذا المغنم مغرم، لأنه سيتعبه في الدنيا، ويحاسب عليه يوم القيامة مغرما أي: يغرم بسببه ويتعب.

قوله **رحمته**: ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي.....

أي: لم أبتذل مهجتي في خدمة العلم، وفي سبب العلم، لأن طالب العلم يحتاج أن يذل نفسه للعلم، ويذل نفسه للعلماء، فيتعب تعباً كثيراً، ويجلس بين يدي أهل العلم، ويبيع نفسه ويتعب نفسه، وربما يحتاج أن يذهب يكسب بعض المال من أجل

أن يأكل ويأكل أولاده وليس عنده وقت، يريد أن يطلب العلم، وهو يستطيع أن يذهب ويشغل، لكن من أجل العلم يتعب نفسه.

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي أي: أي ما أتعبت نفسي في طلب العلم، من أجل أن أخدم الناس، وأسأل الناس، لكن لأخدما، وليس معنى أن الإنسان يريد بطلب العلم

أن يخدم، وأن يكون مخدوما، منعوما عليه، لكن هذا من باب عزة النفس، الأولى أن الناس يخدمون العالم، لا أنه يخدمهم.

قال رحمه الله:

أأشقى به غرسا وأجنيه ذله إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
وإني لراض عن فتى متعفف يروح ويغدو ليس يملك درهما
يبيت يراعي النجم من سوء حاله ويصبح طلقا ضاحكا متبسما

أي: أأشقى بالعلم غرسا، أشقى وأتعب حين أغرسه.

وأجنيه ذلة وأجني العلم أجني ثمرة العلم بعد أن كبرت، وصلحت وأينعت أشقى به غرسا، وفي الأخير أكون ذليلا إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما أي: لو كنت كذلك فالجهل أحزم من العلم وأفضل من العلم.

قال رحمه الله: وإني لراض عن فتى متعفف

أي: ما أجمل وما أحسن الفتى العفيف المتعفف، يروح ويغدو، ليس يملك درهما، يروح ويغدو وهو فقير.

قال **رحمته الله**: بيت يراعي النجم من سوء حاله

أي: في الليل يراعي النجم ويفكر في النجوم، من سوء حاله وفقره، وحاجته إلى الطعام والشراب.

قال **رحمته الله**: ويصبح طلقا ضاحكا متبسما، أي يصبح طلقا بشوشا ضاحكا للناس، متبسما لا يظهر عليه أثر الفقر والتعب، والهم والغم.

قال **رحمته الله**:

ولا يسأل المثرين ما بأكفهم	ولو مات جوعا عفة وتكرما
فإن قلت زند العلم كاب فإنما	كبا حين لم نحرس حماه وأظلما

ولا يسأل المثرين ما بأكفهم.

أي: الأغنياء أصحاب الثرى، ما بأكفهم أي: ما عندهم من المال، ولو مات جوعا عفة وتكرما أي: هذا من أجل عفته وكرامته

قال **رحمته الله**: فإن قلت زند العلم كاب فإنما

فإن قل: زند العلم كاب، أي حظ العلم قليل، والذين يريدون العلم هم قليل أصلا، والمفروض على الناس، أنهم يكرمون هؤلاء القليل، وأيضا لماذا الناس لا يقبلون على العلم كما يقبلون على الدنيا.

قال **رحمته الله**: كبا حين لم نحرس حماه وأظلم... أي: ابتعد الناس عن العلم، عندما لم يحرس طلبة العلم والمتتبعين إلى العلم حماه، وأظلم أي وأظلموا هذا الطريق بتصرفاتهم والمراد بهم الذين يتبعون بعلمهم الدنيا

قال **رحمته الله**:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محيائه بالأطماع حتى تجهما

أي: ولو أن أهل العلم، صانوا العلم وحموه، من كل ما يشينه، وظهروا بمظهر طيب، وأخلاق طيبة، وعزيزة عفيفة، صانهم العلم، ولو عظموه في النفوس لعظم عند الناس، ولكن أهانوه، والمراد بهم كما سمعت، علماء الدنيا، أهانوه أي أهانوا العلم فهانوا، بسبب هياتهم للعلم، ومن عظم العلم عظمه الله **ﷻ**، ومن حقر العلم وأهان العلم أهانه الله، لأن العلم هو دين الله **ﷻ** ودنسوا محياه بالأطماع، حتى تجهما أي: دنسوا حلاوته، وطلاوته وحسنه وبشاشته، حتى صار كالحا في صورة بشعة عند الناس.

قال **رحمته الله**:

وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من لاقيت أرضاه مُنِعِمَا
ولكن إذا ما اضطرني الضر لم أبت أقلبُ فكري مُنَجِّدًا ثم مُنْهَمَا

أي: وما كل برق لاح لي، وما كل باب من أبواب الدنيا يلوح ويظهر لي، يستفزني حتى أذهب وراءه، ولا كل من لاقيت أرضاه منعما، أي: وما كل من لاقيت من الناس، أرضاه أن ينعم عليا، وهذا أريد أن ينعم عليا، وهذا أريد أن يعطيني، وهذا أريد أن ينفق عليا، وهذا أريد أن يكون له منة عليا فالأفضل للإنسان أن يكون هو الذي له المنة على الناس، يعلمهم ويربيهم إبتغاء وجه الله ﷻ ولا يريد منهم جزاء ولا شكورا

قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢١]

إذا ما اضطرني الضر لم ابت أي: إذا اضطرني الضر، وما هنا زائدة .

قال الشاعر

اسمع أخي خذ فائدة بعد إذا ما زائدة

أي: إذا اضطرني الضر، وجاءني الضر.

قوله ﷻ: أقلبُ فكري مُنجداً ثم مُتهما..

أي: لم أقلب فكري منجدا ثم متها أي: أقلب فكري وأفكر، أن أذهب إلى نجد منجدا، أو تهامة متها.

قال ﷻ:

إِلَى أَنْ أَرَى مَا لَا أَعْصُ بِذِكْرِهِ

أي : لكن أصبر على العلم، حتى ييسر الله تعالى، وطالب العلم يدعوا الله بتضرع وشدة حتى ييسر الله .

قيل للإمام أحمد رحمته الله : " ما أفضل أيامك، قال : عندما يكون الكيس فارغا، ما يوجد في الكيس شيء، لا ملح ولا دقيق، هذا أفضل الأيام، لأنني أدعوا الله، وأسأل الله عز وجل بتضرع وشدة، فيستجيب الله تعالى الدعاء "

قال رحمته الله : إلى أن أرى مالا أغض بذكره... أي : سأصبر وأسير على هذا الحال، إلى أن أرى النعمة التي لا أغض بذكرها، أي لا أذكرها وتكون عندي غصة، إذا قلت : قد أسدى إلي وأنعم أي هذا عندي أمر يغصني، إذا قلت، قد أسدى عليا فلان، وأنعم عليا فلان.

وكما سمعت، العبرة بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من العفة، ومن التعاون، كذلك بين أهل الحق، والتعاون بين أهل السنة، وما جاء طالب العلم من المال، من غير استشراف نفس، يقبله ويحمد الله، وما لا فلا يتبعه نفسه، فبركة العلم هي بالعفة والصيانة فنسأل الله تعالى التوفيق والسداد والله أعلم.